الإمام الباقر عليه السلام

ومواجهة الانحراف

٥٢
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

الإمام الباقر عليه السلام

ومواجهة الانحراف

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

المجادلة - الآية - ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا لا انقطاع له، والصلاة والسلام على محمدٍ الذي أرسله، رحمة للعالمين وجعل آله.. سُبل رشادٍ وعِدل الكتاب الذي أنزله..

معروف لدى كل ذي لب منصف أن السيرة العطرة لأئمة الهدى ما هي إلا صفحات منيرة مفعمة بالعبر والدروس ليس للمسلمين فحسب.. بل للإنسانية جمعاء، فهم الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه عز وجل: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

ومن هذه الأنوار المحمدية.. خامس الأئمة وسابع المعصومين إمامنا محمد بن علي الباقر الذي ملأ سماء المعرفة بشتى أنواع العلوم وأشبع حاجات المتعلمين بمختلف صنوف الأحكام شرحا وتفصيلا وتعليلا.. فكان علَما من أعلام التفسير والفقه والأخلاق والعقائد وتخرج على يديه الكثير الكثير، بل كانوا يتسابقون في الحضور عنده لأنهم يعلمون علم اليقين أنه ينطق عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتحدث بلسانه وعلمه، فالنبي وأهل بيته المعصومين هم من سراج علم واحد لا اختلاف فيه، فكان بالنسبة لهم المنهل الحقيقي والأصيل لسنة رسول الله.

ونحن إذ نقدم هذا البحث بمناسبة ذكرى استشهاد باقر العلم عليه السلام لا بد أن نتعرف على هذه الشخصية الكريمة، وأن نستعرض بعض علمه وحِكَمِه ليكون كل ذلك مائدة مبسوطة لمن يريد أن يتزود من هذه المعرفة، كما نحاول أن نبين جهاده الفكري لمحاربة الانحراف الذي طرأ على الأمة، وأسباب التفاف الناس من حوله حتى صار هذا الإمام المظلوم هدفا لسهام الطغاة وليثبتوا مرة أخرى أنهم بعدائهم لأهل البيت لم يراعوا حرمة لله ولرسوله، ولكن الله يأبى إلا أن يتمّ نوره.. فذهب الطغاة وبقيت العترة الطاهرة خالدة في فكر الأجيال.

الإمام الباقر عليه السلام

هو الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، كنيته أبو جعفر، وله ألقاب هي: الباقر، والشاكر، والهادي، وأشهرها الباقر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوشك ان تبقى حتى تلقى ولداً لي من الحسين عليه السلام يقال له محمد يبقر علم الدين بقراً فإذا لقيته فأقرأهُ مني السلام[1].

اذن سمي بالباقر لأنه تبقر العلم أي توسع فيه ولقبه به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يولد بعد وبشر به، ووعد جابر بن عبد الله برؤيته، وقال صلى الله عليه وآله: ستراه طفلاً فإذا رايته أبلغه عني السلام, فعاش جابر حتى رآه وقال له ما وُصّي به، وقيل سمي بذلك كمن بقر الأرض أي شقها وأثار مخبياتها ومكامنها فكذلك هو أظهر المخبيات من كنوز المعرفة وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة.

هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه, صفا قلبه وزكا عمله وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوخ في مقدمات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين.

ولد الإمام الباقر عليه السلام في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله سنة سبع وخمسين

(١) - الإرشاد، للمفيد و الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي.

من الهجرة, يوم الجمعة غرة رجب[1]، أمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام, فهو وليد يجمع النسب العلوي من الجهتين فهو هاشمي من هاشميين وعلوي من علويين وفاطمي من فاطميين لأنه أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام وهو أكبر ولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأشرفهم وأفضلهم.

عاش في كنف جده الحسين عليه السلام أربع سنوات وخرج معه مهاجراً إلى كربلاء فشهدها ونقل أحداثها وعاش مصائبها وآلامها وعانى آلام ومرارة الأسر كما عانته سبايا أهل البيت عليهم السلام على يد طغاة عصره، حيث شاهد وعاش تلك المحنة الكبرى التي مرت على أهل بيت الرحمة عليهم السلام في كربلاء والتي استشهد فيها جده الحسين عليه السلام ومن معه من إخوته وبني عمومته وأصحاب الأئمة وشاهد بعدها الرزايا والمصائب التي توالت على بيته وعلى أبيه عليه السلام من أولئك الحكام الطغاة الذي انغمسوا في الشهوات وتنكروا للقيم والأخلاق وجميع المبادئ والعقائد التي جاء بها الإسلام وجاهد الرسول صلى الله عليه وآله من أجلها ربع قرن تقريباً، ونجد في السنة الواردة عنه الحث الكثير على الحزن وإقامة مجالس العزاء والزيارة فقد قال: (من ذرفت عيناه على مصاب الحسين ولو مثل البعوضة غفر الله له ذنوبه)[2].

(١) - قيل في الثالث من صفر سنة ٥٧هجرية.

(٢) - بحار الأنوار/ ج١ص ٩٨-

أمـــه

أمه السيدة الجليلة الطاهرة فاطمة بنت الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة وتكنى أم عبد الله وكذلك تكنى بأم الحسن وقيل أم عبدة[1].

وهي من سيدات نساء بني هاشم وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسميها الصدّيقة ويقول فيها الإمام الصادق عليه السلام: (كانت صدّيقة، لم يدرك في آل الحسن مثلها)[2].

وحسبها سمواً أنها بضعة من ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وانها نشأت في بيت الرسالة وهدي الأئمة وتربى الباقر عليه السلام في حجرها الطاهر وقد غذته بأزكى وأنقى المثل العليا وأفرغت عليه من أشعة روحها النورانية الزكية وكانت رضوان الله عليها من الصالحات الطائعات المقبولة الدعاء, فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

(كانت أمي قاعدة عند جدار, فتصدع الجدار وسمعنا هدّة شديدة فقالت بيدها: لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط, فبقي معلقاً حتى جازته, فتصدق أبي بمائة دينار)

(١) - انظر مناقب ابن شهر آشوب و بحار الانوارج٤٦ص٢١٦ وكشف الغمةج٢ص٣٢٨.

(٢) - أصول الكافي/الكليني/ج١ص٤٦٩.

زوجات الإمام الباقر عليه السلام وأولاده

كان للإمام عليه السلام عدة زيجات ذكر التاريخ نساءه وأولادهم وكما يلي:
أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأولادها: (الصادق, عبد الله).

أم حكيم بنت أسد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفية وأولادها: ((إبراهيم, عبيد الله الذي توفى في حياة أبيه)[1].

أم ولد، أولدها (علي الملقب بالطاهر).

أم ولد، أولدها(زينب).

أم ولد، أولدها(أم سلمى).

الإمام الباقر عليه السلام والدولة الأموية

كما هو معلوم ان الأمويين انصرفوا عن مفاهيم الرسالة المحمدية ومارسوا الرذيلة بكل أشكالها ومظاهرها معلنين الفسق والفجور في قصورهم ونواديهم وأينما حلوا وارتحلوا، وقد غمر هذا التيار الذي طغى على قصور الحكام والولاة أكثر المسلمين فمارسوا ملذات العيش ومغريات الدنيا وجميع المنكرات وقديماً قيل: الناس على دين ملوكهم.

(١) - وقيل انها بنت سيد بن المغيرة الثقفية.

واختار حكام بني أمية لبناء دولتهم أساليب العنف والظلم والاضطهاد وقتل الأبرياء والصلحاء وصرف الأموال في سبيل تثبيت عروشهم واستمرار ملذاتهم وقبال ذلك استمرت مطاردتهم وتضييقهم لآل بيت النبوة وشيعتهم. فامتلأت السجون الطامورات وانتشرت سبل التقتيل والتشريد ومما هو شاهد على ذلك الحال وقعة الحرة وهدم الكعبة وقتل سيد شباب الجنة إلى غير ذلك من الشواهد الحاضرة التي لا يمكن أن تنساها الأجيال.. وقد التزم الإمام الباقر عليه السلام نهج أبيه عليه السلام في حياته فابتعد عن السياسة وأخذ يوجه الناس إلى التمسك بشريعة سيد المرسلين وتحدث عليه السلام لبعض أصحابه وهو يصور لهم أولئك الحكام وقسوتهم على الشيعة وإسرافهم في إراقة الدماء وشرائهم الذمم بالأموال وأطايب الطعام للدس والكذب في حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واستعرض الدور الذي قام به الحجاج بن يوسف مع أتباع أهل البيت حتى شردهم في البلاد وأذاقهم جميع أنواع البلاء وصنوف العذاب وبلغ بهم الحال إن الرجل كان يتمنى أن يقال له زنديق ولا يقال له مؤمن شيعي.

(روي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت

الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفا ثم غدروا به و خرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثم لم نزل أهل البيت نستذل و نستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا و دماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم و قضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئا منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها

حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب و لا بقلة ورع).[1]

كان الإمام الباقر عليه السلام له من العمر أربعون عاماً عندما رحل أبوه عليه السلام عن الدنيا إلى جوار ربه الأعلى, فبقي بعده ثمانية عشر عاماً يتلوى خلالها على شيعة آبائه وعلى الضعفاء والمساكين وعلى مصير الإسلام والرسالة.

كما انه عليه السلام عَلِمَ من خلال سير الأحداث التي عصفت بجده وأبيه عليهما السلام خذلان الناس لهم في ساعات المحنة, فانصرف عن السياسة وشؤون السياسيين فاتجه إلى خدمة الإسلام عن طريق الدفاع عن أصوله ومبادئه ونشر تعاليمه وأحكامه.

التوسع الإسلامي والانحرافات الفكرية

بعد أن انتشر الإسلام واتسعت رقعته وخضع لسلطانه أمم وشعوب مختلفة ذات ماضٍ حضاري عريق يزخر بالحضارة والعمران, حدث انقلاب في التفكير وجميع أسباب الحياة وبرزت ألوان من النزاعات والاتجاهات التي تجر ورائها الإلحاد والزندقة والضلال والهوى وكان حكام بني أمية وراء ذلك التغيير الذي طرأ على الفكر الإسلامي حتى أصبح يهدد العقيدة الإسلامية في صميمها, لان الحكام مهدوا لتلك الأفكار لأنها تخدم مصالحهم الشخصية وتنعش أهواءهم وشهوتهم,

(١) - شرح نهج البلاغة/ ج١ص٤٤

وقد قربوا أصحاب تلك الأفكار منهم وألحقوهم بقصورهم، فبرزت مسائل الجبر والتفويض وكان رواجهما وانتشارهما لمصلحة الحكام قبل غيرهم من العصاة لأن الجبر يضع عنهم مسؤولية تصرفاتهم الجائرة.

فكان على الإمام الباقر عليه السلام في هذا الجو المشحون بالصراع العقائدي أن ينصرف إلى الدفاع عن العقيدة وترسيخ تعاليم الإسلام الحقة, فالتف حوله العلماء وطلاب العلم والحديث من الشيعة وغيرهم.

وقد اتخذ الإمام الباقر عليه السلام مسلكين للرد على الشبهات التي أوجدها أصحاب العقائد الفاسدة والمتزندقة هما:

١- أن يكون هو عليه السلام من يناظر هؤلاء المنحرفون مباشرةً وبحضور جمع من المؤمنين، (إن نافع بن عبد الله بن الأزرق كان يقول: لو علمت إن بين قطريها أحدا تبلغني إليه المطايا يخصمني أن عليا قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لهم لرحلت إليه، فقيل له: ولا ولده؟ فقال [مستغرباً]: في ولده عالم؟

فقيل له: هذا أول جهلك، وهل يخلون من عالم في كل عصر؟

فقال: ومَن عالمهم اليوم؟

قيل له: محمد بن علي بن الحسين، فرحل إليه في جمع من أصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن على أبي جعفر، فقال: وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن آبائي، ثم قال الإمام لغلامه: اخرج إليه وقل

له: إذا كان الغد فأتنا، فلما أصبح دخل عليه نافع بن الأزرق في أصحابه، وكان الإمام عليه السلام قد جمع أبناء المهاجرين والأنصار. ثم خرج إليهم في ثوبين ممغرين وأقبل على الناس كأنه فلقة قمر وقال عليه السلام: الحمد لله محيّث الحيث، ومكيّف الكيف، ومؤيّن الأين، الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض... (إلى آخر آية الكرسي)، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.

الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته، واختصنا بولايته، ثم قال عليه السلام: يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة لعلي بن أبي طالب أقسمت عليه إلا ذكرها، فتحدث جماعة منهم بما اشتهر من فضله ومناقبه، فلم ينكر نافع بن عبد الله بن الأزرق شيئا مما ذكروه حيث قال: وأنا أروي هذه المناقب، ولكنه أحدث الكفر لأنه وافق على التحكيم في صفين.

فذكره الإمام عليه السلام بحديث خيبر وقول النبي صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه.

واعترف ابن الأزرق بصحة الحديث. وقال: هو حق، ولكن عليا احدث الكفر بعد.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن الله سبحانه أحب عليا يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان، أو انه لا يعلم؟ فسكت

الخارجي، ولم يعرف بماذا يجيب، فإن قال بأن الله لا يعلم فقد نسب إليه الجهل.. وان قال بأنه يعلم، فإذا لم يكونوا مستحقين للقتل يكون علي بن أبي طالب قد ارتكب خطأ كبيرا وظلما فاحشا بقتلهم فكيف أحبه الله وهو ظالم لعباده، والله لا يحب الظالمين المجرمين، ولا مفر له عن الاعتراف باستحقاقهم للقتل فخرج من مجلس الإمام مخصوما مدحورا)[1].

٢- أن يعلّم أصحابه وعلماء الشيعة وغيرهم من الرد عليهم والمناظرة معهم، وكان مما ذكر من أصحابه انهم تعلموا منه عليه السلام ومن الصادق عليه السلام ما يسع المسألة وجوابها، وكما قال محمد بن مسلم رضي الله عنه: ما شجر في قلبي شيء قط إلا سالت عنه أبا جعفر عليه السلام، حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث وسالت أبا عبد الله عليه السلام عن ستة عشر الف حديث[2].

وكان لمؤمن الطاق[3] مناظرات لا تعد ولا تحصى يلجم خصومه بالحجة البالغة والدليل القاطع، فينهزم أمامه الخصوم، وقد بلغ ما بلغ من العلم، يعرف أساليب المناظرة ويأخذ خصمه من حيث لا يحتسب.

(١) - بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ج٤٦ص٧٤٣

(٢) - بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ج٤٦ص٣٢٦

(٣) ٢- هو محمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام كما انه اخذ العلم على يد الإمام السجاد عليه السلام. وهو الذي ترحم عليه الإمام الصادق عليه السلام ولقب بالطاق لأنه كان صرافاً في محل يدعى باب الطاق من محلات الكوفة.

(عن يونس، عن أبي جعفر الأحول، قال: قال ابن أبي العوجاء مرة: أليس من صنع شيئا وأحدثه حتى يعلم أنه من صنعته فهو خالقه؟ قلت: بلى، قال: فأخلني شهرا أو شهرين ثم تعال حتى أريك. قال: فحججت فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أما أنه قد هيأ لك شاتين وهو جاء معه بعدة من أصحابه، ثم يخرج لك الشاتين قد امتلئا دودا، ويقول لك: هذا الدود يحدث من فعلي، فقل له: إن كان من صنعك وأنت أحدثته، فميز ذكوره من إناثه. وأخرج إليّ الدود فقلت له: ميّز الذكور من الإناث، فقال: هذه والله ليست من إبرازك! هذه التي حملتها الإبل من الحجاز)[1].

وكان هذا يؤخذ من حلقة درسه في المسجد النبوي أو في داره عليه السلام، وقد هيأ لذلك مما لا يحصى عدده وجعلهم في أوساط الشعوب والأمم.

ثم ان الإمام عليه السلام قد رفع مظلومية بني هاشم في فدك عندما وعظ عمر بن عبد العزيز في رد حقوقهم التي اغتصبها الحكام، فقد روى ان عمر بن عبد العزيز دخل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر مناديه فنادى مَن كان له مظلمة أو ظلامة فليأتِ الباب، فأتى محمد بن علي عليه السلام فدخل اليه مولاه مزاحم فقال: إن محمد بن علي عليه السلام بالباب فقال عمر: أدخله يا مزاحم ، فدخل الإمام عليه السلام وعمر يمسح عينيه من الدموع فقال له عليه السلام: ما أبكاك يا عمر؟ فقال: أبكاني كذا وكذا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الإمام عليه السلام: (يا عمر إنما الدنيا سوق

(١) - راجع قاموس الرجال: ج ٨ ص ٣٠٨

من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرجوا بما يضرهم، وكم من قوم قد غرتهم بمثل الذي أصبحنا فيه، حتى أتاهم الموت فاستوعبوا فخرجوا من الدنيا مَلومين لمّا لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدة، ولا مما كرهوا جُنَّة، قسّم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن والله محقون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نغبطهم بها فنوافقهم بها وننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نتخوف عليهم منها فنكف عنها، فاتق الله واجعل في قلبك اثنتين، تنظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك، وتنظر الذي تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربك فابتغ به البديل، ولا تذهبن إلى سلعةٍ قد بارت على من كان قبلك ترجو ان تجوز عنك، واتق الله يا عمر وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانظر لمظلوم وردّ المظالم)، ثم قال عليه السلام: (ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله)، فجثا عمر على ركبتيه وقال: إيه يا أهل بيت النبوة، فقال: (نعم يا عمر.. مَن إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له).

فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي عليه السلام فدك[1].

(١) - المناقب/ ابن شهر آشوب/ ج٢ص٢

ملوك عصره

عاصر الإمام الباقر عليه السلام خمسة من ملوك بني أمية منذ تسلمه مقاليد الإمامة وقد ذاق منهم الأمرين كبقية المسلمين الذين شملهم ظلم بني أمية:

١. الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يصفه المؤرخون انه كان جباراً عنيداً ظلوماً غشوماً, وكان قد مزق القرآن الكريم وهو في سكر فظيع وكان الحجاج الثقفي أحد عماله قاتل الأصحاب الأجلاء والشيعة الأمناء مثل سعيد بن جبير رضي الله عنه وغيره.

٢. سليمان بن عبد الملك , المعروف بكثرة الأكل والانصراف عن أمور المسلمين.

٣. عمر بن عبد العزيز وكان لا يختلف كثيراً عن الحكام الأمويين وقيل انه كان طروباً يستمع إلى الغناء.

٤. يزيد بن عبد الملك وكان يغلب عليه حب الجواري وقيل انه أفرط بحب جارية له يقال لها سلامة وأخرى اسمها حبابة. ويذكر المؤرخون انه كان كثير اللهو والطرب وصرف أوقاته فيها , وعندما ماتت سلامة أقام يزيد أياماً لا يظهر للناس بل ابقى جثتها اياماً لا يدفنها حتى جيفت ثم دفنها وأقام على قبرها.

٥. هشام بن عبد الملك: وكان آخر من عاصر الإمام الباقر عليه السلام من حكام بني أمية وكان أحول, خشناً, فظاً, غليظا يجمع الأموال ويعمر القصور ويجمع الخيول، عانى المسلمون أشد المعانات

من ظلمه، ثار عليه زيد بن علي عليه السلام أخو الإمام الباقر عليه السلام وفشلت ثورته بقتله وصلبه ومطاردة أصحابه[١].

ومن القضايا التي يذكرها التاريخ التي جمعت الإمام الباقر عليه السلام مع حكام عصره انه يوم حج هشام بن عبد الملك سنة من السنين وكان قد حج الإمام عليه السلام وابنه الصادق عليه السلام فقال جعفر عليه السلام للناس: (الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به, فنحن صفوة الله، وخلفاؤه على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا).

ولما علم هشام بهذا الكلام أتم حجه ورجع إلى الشام وأرسل إلى عامله في المدينة أن يقدم الباقر والصادق عليهما السلام إلى الشام سريعاً, فلما وصلا إلى هشام ودخلا عليه، كان جالساً على سرير الملوك وجنده حوله وقوف مسلحين، وكان أمامه لوحة يرمون إليها الرماح والسهام كأنهم في سباق وتنافس على إصابة الهدف, عندها نادى هشام: يا محمد الباقر ارمِ مع أشياخ قومك الهدف، فقال عليه السلام له: اني كبرت عن الرمي فإن رأيت أن تعفني فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد صلى الله عليه وآله لا أعفيك، ثم أومأ إلى شيخ من بني أمية أن يعطيه قوسه، فتناول الإمام عليه السلام ذلك القوس ثم تناول سهماً فوضعه وسط القوسين ورمى به الهدف فأصابه في منتصفه ثم رمى فيه الثانية

(١) - راجع مروج الذهب / المسعودي/ ج٣ص١٢٠ وتاريخ الطبري/ ج٧ص٢٢-٢٣

فشق السهم الثاني السهم الأول ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضها في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه حتى قال له أحسنت يا أبا جعفر.

وذكر التاريخ قصة موت بسر بن أرطأة أحد طغاة بني أمية ويد معاوية الضاربة وعامله المعروف بالظلم وا لجور وقتل الأبرياء، وكان من أقبح جرائمه انه قتل غلامين صغيرين لعبيد الله بن العباس وهما (قثم وعبد الرحمن) وكان الإمام علي عليه السلام قد دعا عليه فقال: (اللهم اسلبه دينه وعقله) فخرف في أواخر حياته وكان ذلك في أيام الإمام الباقر عليه السلام، وكانت وفاته كما يرويها المؤرخون بعد أن خرف حتى ذهل عقله واشتهر بالسيف وكان لا يفارقه فجُعل له سيف مصنوع من الخشب، وجُعل بين يديه زق منضوخ يضربه وكلما تمزق أبدله, فلم يزل كذلك حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه (خروجه)، وربما كان يتناول منه، ثم يقبل منه على من يراه فيقول: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله؟ وكان في بعض الأحيان توثق يداه إلى ظهره منعاً من ذلك فأنجى (أي اخرج) فضلاته(مكانه) ثم يهوي بفمه فيتناول منها فيبادر إلى منعه فيقول: انتم تمنعونني وعبد الرحمن وقثم يطعماني وهكذا وحتى مات إلى جهنم وبئس المصير[1].

(١) - شجرة طوبى/ الشيخ محمد مهدي الحائري/ ج١ص٤٣

دور الإمام الباقر (عليه السلام) في الإصلاح

لقد كان الإمام عليه السلام مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي وكان يقصده كبار رجالات الفقه الإسلامي كسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم, وقد تركز دوره عليه السلام في الإصلاح على اتجاهين هما:

الاتجاه الأول: التحرك في أوساط الأمة وعموم الناس بما فيهم المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى فضلاً عن التحرك على الحكام وأجهزتهم لإعادتهم إلى خط الاستقامة أو الحد من انحرافاتهم وحصرها في نطاق محدود.

الاتجاه الثاني: بناء الجماعة الصالحة لتقوم بدورها في إصلاح الأوضاع العامة للأمة وللدولة طبقاً للأسس والقواعد الثابتة التي أرسى دعائمها أهل البيت عليهم السلام بما ينسجم والقران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

محاور الحركة الإصلاحية العامة للإمام عليه السلام

أولا- الإصلاح الفكري والعقائدي:

من الأزمات التي خلفتها سيرة الحكام هي أزمة ارتباك المفاهيم وما رافقها مع تقليد وسطحية في الفكر فلم تتجلّ حقيقة التصور الإسلامي عند الكثير من المسلمين لكثرة التيارات الهدامة وناطها في تحريف المفاهيم السليمة وتزيف الحقائق وقد مارس الإمام عليه السلام عدة نشاطات لإصلاح الأفكار والعقائد منها:

١. الرد على الأفكار والعقائد الهدامة والمذاهب المنحرفة: كالرد على الغلاة والذي نشطت حركتهم بقيادة المغيرة بن سعيد العجلي الذي ادعى انه يعلم الغيب والرد على أبي هاشم عبد الله بن محمد الحنفية وضربه ضرباً شديداً أشرف به على الموت وكان أبو هاشم قد أتى الكوفة فأتبعه خلق كثير وكان مشعوذاً دعا الناس إلى رأيه، وصدر من الإمام عليه السلام اللعن على رؤساء الغلاة وكان يسميهم أحيانا كما في قوله عليه السلام:(لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا) [١]، وقوله عليه السلام: (لعن الله بنان التبان وان بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي) [٢]، وكان عليه السلام يحذر المسلمين وخصوصاً أنصار أهل البيت عليهم السلام من أفكار الغلو ويرشدهم إلى

(١) - شرح نهج البلاغة/ابن أبي الحديد/ج٦ص١٢١

(٢) - بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ج٢٥ص٢٩٧

الاعتقاد الصحيح والسليم بقوله: (لا تضعوا علياً دون ما وصفه الله ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله) وحذر من المرجئة ولعنهم وله مواقف معهم وكذلك المفوضة وا لجبرية.

٢. الحوار مع المذاهب والرموز المنحرفة:

كان للإمام عليه السلام مناظرات هادفة مع الرموز المنحرفة تستهدف تصحيح الأفكار والمفاهيم المنحرفة لتأثير هؤلاء الرؤساء على اتباعهم وبالتالي الصلاح العام، فكان له مناظرات مع علماء النصارى ليهديهم إلى سبيل الرشاد ومع هشام بن عبد الملك ليعلمه مقامات أهل البيت عليهم السلام وميراثهم لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك له مناظرة مع الحسن البصري وكان يقول بالتفويض.

وله عليه السلام مناظرات طويلة مع محمد بن المندكر من مشاهير زهاد ذلك العصر ومع نافع الأزرق أحد زعماء الخوارج ومع قتادة بن دعامة البصري وكان قتادة مع فقهاء البصرة.

٣. الدعوة إلى أخذ الفكر من المصادر النقية:

كان الإمام عليه السلام يحذر الناس من الأخذ بالرأي والقياس ويطالبهم بالرجوع إلى أصل العلوم ومصدره بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام، وقد ساهم الإمام عليه السلام من خلال ذلك بنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، فقام بفتح أبواب مدرسته العلمية الرائعة لعامة أبناء الأمة الإسلامية حتى وفد إليها طلاب العلم من مختلف أرجاء البقاع الإسلامية وأخذ عنه العلم عدد كبير من المسلمين بشتى ميولهم

واتجاهاتهم منهم (عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار، الزهري، ربيعة الرأي، ابن جريج، الأوزاعي، بسام الصيرفي وأبو حنيفة) وغيرهم من أعلام الأمة.[1]

وكانت أحاديثه عليه السلام يسندها عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما انه كان يرسل الحديث ولا يسنده وحينما سئل عن ذلك قال: (اذا حدثت بالحديث فلم أسنده، فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله عز وجل)[2].

ثانيا- تأسيس المدرسة الفقهية النموذجية

كان المجتمع الإسلامي في عصر الإمام عليه السلام غارقاً في الأحداث والاضطرابات السياسية حيث أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينية إهمالاً تاماً، فأهل البلاد الإسلامية لم يعرفوا شؤون دينهم معرفة كافية وقد كان في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة وكذلك أهل البصرة لم يكونوا بأحسن حالاً من أهل الشام حتى راحوا يسألون الصحابة عن ذلك.

إن الدور الثاني الذي قام به الإمام الباقر ومن بعده الصادق عليهما السلام في نشر الفقه وبيان أحكام الشريعة كان من أعظم الخدمات التي قدمها

(١) - أعلام النبلاء/ص٤٠١ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص٣٦

(٢) -بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ ج٤٦ص٢٨٨

للعالم الإسلامي وسعى إلى الأخذ من علومهما أبناء الصحابة والتابعون ورؤساء المذاهب، وتخرج على يد الإمام عليه السلام جمهور كبير من الفقهاء كزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وإبان بن تغلب واليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث الإمام عليه السلام. ومن مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام الفقهية ما يلي:

١- الاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله: فالإمام لا يحتاج أكثر من أن يروي عن أبيه عن آبائه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله عن الوحي عن الله سبحانه وتعالى.

٢- المرونة: حيث كان فقه أهل البيت عليهم السلام يساير الحياة ويواكب التطور ولا يشذ عن الفطرة وليس فيه حرج ولا ضيق ولا ضرر ولا ضرار وإنما فيه الصا لح العام والتوازن في جميع نواحي تشريعاته.

٣- فتح باب الاجتهاد: أهم ما تميز به فقه أهل البيت عليهم السلام هو فتح باب الاجتهاد وهذا يدل على حيوية فقه أهل البيت وتفاعله مع الحياة واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان وانه لا يقف مكتوفاً أمام الأحداث المستجدة التي يتبلى بها الناس، فقد أمر الأئمة عليهم السلام شيعتهم بقولهم: (علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع)[1].

٤- الرجوع إلى حكم العقل: تفرد فقهاء الإمامية عن بقية المذاهب

(١) - وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ج١٨باب ٦حديث٥٢

الإسلامية فجعلوا العقل واحداً من المصادر الأربعة لاستنباط الأحكام الشرعية وأضفوا عليه ألوان التقديس، فاعتبروه النبي الباطني والحجة من الداخل كما النبي حجة من الخارج, وانه مما يعبد به الرحمن ويكتسب به ا لجنان, وان للعقل مسرحاً كبيراً في علوم الأصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد، روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب)[1].

ثالثا- الاصلاح السياسي

استثمر الإمام عليه السلام ظروف الانفراج السياسي النسبي لبناء وتوسعة القاعدة الشعبية وتسليحها بالفكر السياسي السليم المنسجم مع رؤية أهل البيت عليهم السلام, وكان الإمام عليه السلام يقدم للأمة المفاهيم والأفكار السياسية مع الحيطة والحذر وكان له مواقف سياسية صريحة من بعض الحكام لإعادتهم إلى جادة الصواب وتجلى ذلك من خلال:

١- الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ان لدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحرران الإنسان والمجتمع من ألوان

(١) - الكافي/ الكليني/ج١ص١٠

الانحراف في الفكر والعاطفة والسلوك، ويحولان المفاهيم والقيم الإسلامية الثابتة إلى ممارسات سلوكية واضحة المعالم تترجم فيها الآراء والنصوص إلى مشاعر وعواطف وأعمال وحركات وعلاقات متجسدة في الواقع لكي تكون الأمة والدولة بمستوى المسؤولية في الحياة والمسؤولية هي حمل الأمانة الإلهية وخلافة الله تعالى في الأرض.

٢- نشر المفاهيم السياسية السليمة: وجه الإمام عليه السلام الأنظار إلى دور أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمة وتوجيهها نحو الاستقامة والرشاد وحث على نصرتهم وحذر الأمة من الابتعاد عن نهجهم عليهم السلام، ووضح حدود الموالاة لهم مؤكداً على أن طرق تولي الإمام لمنصب الإمامة منحصرة بالنص والوصية ولا عبرة بما هو شائع من البيعة والعهد والغلبة, والتشيع ليس ادعاء بل هو ممارسة عملية محسوسة في الواقع, والشيعي هو مثال التدين والإخلاص والطاعة لله تعالى.

وقال عليه السلام: (نحن ولاة أمر الله، وخزائن علم الله، وورثة وحي الله، وحملة كتاب الله، طاعتنا فريضة، وحبنا إيمان، وبغضنا كفر، محبنا في ا لجنة ومبغضنا في النار)[1].

٣- فضح الواقع الأموي: حيث كشف الإمام عليه السلام حقيقة الحكم الأموي وكيفية وصوله إلى الحكم وما مارسه من أعمال لإدامة

(١) - بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٢٦ص٢٥٢

السيطرة على رقاب المسلمين، وأوضح الجرائم التي ارتكبها سلف هؤلاء الحكام في حق أهل البيت عليهم السلام، كما دعا إلى مقاطعة الحكم الجائر، ووضع أساليب التعامل مع الحكام والفاسقين، ولهذا أمر عليه السلام بمقاطعة الحاكم الجائر، وجعل العمل مع الجائر دليلاً على كراهية الجنّة، تشديداً منه على عدم الدخول معه في الأعمال.

عن عقبة ابن بشير الأسدي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: اني من الحسب الضخم من قومي، وانّ قومي كان لهم عريف فهلك، فأرادوا ان يعرفوني عليهم، فما ترى لي؟

قال عليه السلام: (فإن كنت تكره الجنة وتبغضها، فتعرّف على قومك، يأخذ سلطان جائر بامرئ مسلم يسفك دمه، فتشركهم في دمه، وعسى أن لا تنال من دنياهم شيئاً)[1].

وأكد على ان تكون العلاقة معهم علاقة التوجيه والإرشاد, واستثنى إسنادهم بالسلاح في المواقف التي تتخذ من أجل مصلحة الإسلام الكبرى، وجوّز إسنادهم بالسلاح إن كان القتال مع أعداء الإسلام لأنهم بالسلاح يدفعون العدو المشترك.

عن هند السراج قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله إني كنت أحمل السلاح إلى أهل الشام فأبيعه منهم فلما أن عرفني الله هذا الأمر ضقت بذلك وقلت: لا أحمل إلى أعداء الله، فقال: احمل إليهم فإن الله يدفع بهم عدونا وعدوكم - يعني الروم - وبعهم

(١) -رجال ا

فإذا كانت الحرب بيننا فلا تحملوا، فمن حمل، إلى عدونا سلاحا يستعينون به علينا فهو مشرك) [1].

٤- موقفه من الثورة المسلحة: وقف الإمام عليه السلام موقف الحياد من الثورات التي قادها الخوارج فلم يصدر منه تأييد ولا معارضة، وكان عليه السلام يوجه الأنظار إلى ثورة أخيه زيد بن علي رضي الله عنه التي أخبر أنها ستنطلق في المستقبل القريب وكان يحذر من خذلان زيد ومحاربته.

رابعا- الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي:

بذل الإمام عليه السلام عناية فائقة لإصلاح الأخلاق وتغيير الأوضاع الاجتماعية باتجاه القواعد والموازين والقيم الثابتة في الشريعة الإسلامية وذلك من خلال نشر الأحاديث الشريفة النبوية المرتبطة بالجوانب الأخلاقية والاجتماعية لكي تكون هي الحاكمة على الممارسات السلوكية والعلاقات الاجتماعية ولكي تكون نبراساً لأفراد المجتمع, وكان يشير إلى إصلاح الفقهاء والأمراء فقد روى عليه السلام قول جده صلى الله عليه وآله:(صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي الفقهاء والأمراء)[2].

(١) لكشالصدوق/٤٥ لكافي / ج٥ص١١٣

(٢) - الخصال/ الصدوق/٤٥

ودعا إلى إخلاص النصيحة والإيثار فقال عن جده ﷺ (لينصح الرجل منكم كنصيحة لنفسه)[1].

وروى عن الرسول ﷺ من الأحاديث التي تدعو إلى حسن الخلق والكف عن أعراض المؤمنين منها قوله عليه السلام: (والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له, وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين)[2].

عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام (إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله، ثم قال في حديثه: إن الله نهى عن القيل والقال، وفساد المال وكثرة السؤال، فقالوا: يا ابن رسول الله وأين هذا من كتاب الله؟ فقال: إن الله عزّ وجّل يقول في كتابه: (لا خير في كثير من نجواهم)، وقال: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)، وقال: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)[3].

كما أكد على إدخال السرور على المؤمن كما ورد في قول رسول الله ﷺ: (مَن سرّ مؤمنا فقد سرّني ومن سرّني فقد سر الله)[4].

كما كانت دعوته عليه السلام إلى مكارم الأخلاق لتكون هي العلاقة الفارقة لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان عليه السلام يدعو إلى إفشاء السلام وهو

(١) العاملي/ج١٦ص٣٨٣ حر العاملي/ج١٦ص٣٨٣

(٢) - وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ج١٥ص٢٣١

(٣) وسائل الشيعة/ الحر العاملي /ج١٩ص٨٤

(٤) - الكافي/ الكليني/ج٢ص١٨٨

مظهر من مظاهر روح الإخاء والود والمحبة والصفاء في العلاقات الاجتماعية حتى قال عليه السلام: (إن الله يحب إفشاء السلام). ودعا إلى العفة وتطهير اللسان وتقييده بقيود شرعية لإدامة العلاقات بين الناس فقال عليه السلام: (قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين, الفاحش المتفحش, السائل الملحف ويحب الصبي الحليم العفيف المتعفف)[1].

خامسا- الاصلاح الاقتصادي:

لم يكن الإمام عليه السلام على رأس سلطة حتى يستطيع إصلاح الأوضاع الاقتصادية إصلاحاً عملياً وجذرياً، لذا اقتصر عمله عليه السلام على نشر المفاهيم الإسلامية المرتبطة بالحياة الاقتصادية السليمة , فحدد الإمام عليه السلام الأهداف المتوخاة من التصرف بالأموال وأوضح الأهداف المشروعة التي ينبغي طلب المال من أجلها واستعان بالأحاديث الشريفة الواردة في ضرورة المشروعية في التصرفات الاقتصادية، فروى عن الرسول ﷺ انه قال: (العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال) وكما أكد على حرمة جملة من التصرفات المالية كالتطفيف في المكيال والربا وغيرها.

(١) -تحف العقول/ الحراني/ص٢٢٠

دوافع اغتيال الإمام الباقر عليه السلام

هناك جملة أسباب أدت إلى اغتيال الإمام الباقر عليه السلام منها:

١ - سمو شخصية الإمام عليه السلام:

كان عليه السلام أسمى شخصية في العالم الإسلامي، فقد أجمع المسلمون على تعظيمه والاعتراف له بالفضل، فقد كان مقصد العلماء من جميع البلاد الإسلامية.

لقد ملك الإمام عليه السلام عواطف الناس واستأثر بإكبارهم له وتقديرهم إياه، لأنه العلم البارز في الأسرة النبوية وقد أثارت منزلته الاجتماعية غيظ الأمويين وحقدهم فأجمعوا على اغتياله للتخلص منه.

٢ - أحداث دمشق:

لا يستبعد المؤرخون والباحثون أن يكون تواجده في دمشق وإحضاره من قبل الأمويين إلى هناك، وما جرى بينه عليه السلام وبينهم من مناظرات مختلفة ترتبط بالإمامة والخلافة، وعجز الحكام عن مجاراته وظهور العجز عليهم، كل ذلك أدى إلى الحقد عليه واغتياله وكذلك مناظراته مع عالم النصارى وتغلبه عليه حتى اعترف بالعجز عن مجاراته أمام حشد كبير معترفاً بفضل الإمام وتفوقه العلمي في أمة محمد صلى الله عليه وآله، وقد أصبحت تلك القضية بجميع تفاصيلها الحديث

الشاغل لجماهير أهل الشام ويكفي هذا أن يكون من أسباب اغتيال الإمام عليه السلام والتخطيط للتخلص من وجوده.

رحيل الإمام الباقر عليه السلام

دس السم إلى الإمام عليه السلام في عهد هشام بن عبد الملك وبأمره، وقد قبض عليه السلام في يوم الاثنين السابع من ذي الحجة سنة أربع عشر ومائة، ودفن عليه السلام في البقيع جوار أبيه زين العابدين عليه السلام وعم أبيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ريحانة رسول الله واختلف الرواة في تحديد عمره الشريف فقيل سبع وخمسون سنة وقيل ثمانية وخمسون سنة.

وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي[1]

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (يا جابر اغتنم من أهل زمانك خمسا: إن حضرت لم تعرف، وإن غبت لم تفتقد، وإن شهدت لم تشاور. وإن قلت لم يقبل قولك. وإن خطبت لم تزوج. واوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن. وإن كذبت فلا تغضب. وإن مدحت فلا تفرح. وإن ذممت فلا تجزع. وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عزوجل عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس. وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك. واعلم بأنك لا تكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن أعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكا سبيله زاهدا في تزهيده راغبا في ترغيبه خائفا من تخويفه فاثبت وأبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبائنا للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك، إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم أودها[2]، ويخالف

(١) - نسبة إلى جعف بن سعد العشيرة بن مذحج أبى حى باليمن. وهو جابر بن يزيد بن الحرث بن عبد يغوث الجعفي من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام و خدم الامام أبا جعفر عليه السلام سنين متوالية مات رحمه الله في أيام الصادق عليه السلام سنة ثمان وعشرين ومائة.

(٢) . الاود: العوج. وقد يأتي بمعنى القوة.

هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله[1] فينتعش، ويقيل الله عثرته فيتذكر ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بأن الله يقول: «إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون».

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصا إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراء على النفس[2] وتعرضا للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل. وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل[3]، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الاعمال ليوم الجزاء، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى راحة النفس بصحة التفويض. واطلب راحة البدن بإجمام القلب[4]، وتخلص إلى إجمام القلب بقلة الخطأ، وتعرض لرقة القلب بكثرة

(١) . نعشه الله: رفعه وأقامه وتداركه من هلكة وسقطة. وينعش أي ينهض - وينشط.

(٢) . أزرى على النفس: عابها وعاتبها. ويحتمل أن يكون: ازدراء - من باب الافتعال - أي احتقارا واستخفافا.

(٣) . جازف في كلامه: تكلم بدون تبصر وبلا روية. وجازف في البيع: بايعه بلا كيل ولا وزن ولا عدد وجازف بنفسه: خاطر بها.

(٤) . الجمام - بالفتح -: الراحة. واجم نفسه أي تركها.

الذكر في الخلوات، و استجلب نور القلب بدوام الحزن، وتحرز من إبليس بالخوف الصادق.

وإياك والرجاء الكاذب، فإنه يوقعك في الخوف الصادق، وتزين لله عزوجل بالصدق في الاعمال، وتحبب إليه بتعجيل الانتقال، وإياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى وإياك والغفلة [فا] فيها تكون قساوة القلب، وإياك والتواني فيما لا عذر لك فيه، فإليه يلجأ النادمون، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم، وكثرة الاستغفار، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء و المناجاة في الظلم. وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق واستقلال كثير الطاعة. واستجلت زيادة النعم بعظيم الشكر والتوسل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم. واطلب بقاء العز بإماتة الطمع. وادفع ذل الطمع بعز اليأس واستجلب عز اليأس ببعد الهمة. وتزود من الدنيا بقصر الامل. وبادر بإنتهاز البغية[1] عند إمكان الفرصة ولا إمكان كالايام الخالية مع صحة الابدان، وإياك والثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء[2]، واعلم أنه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس.

(١) . البغيــة: مصدر بغى الشــئ أي طلبه. وانتهاز البغيــة: اغتنامها والنهوض إليها مبادرا.

(٢) . الضراوة: مصدر ضرى بالشئ أي لهج به وتعوده وأولع به.

ولا قوة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك الدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات[1]، ولا عدل كالانصاف، ولا تعدي كالجور. ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلة اليقين، ولا قلة يقين كفقد الخوف، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوة كردّ الغضب، ولا معصية كحب البقاء، ولا ذل كذل الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنه ميدان يجري لأهله بالخسران)[2].

(١) . المنافسة: المفاخرة والمباراة.

(٢) . تحف العقول / ابن شعبة الحراني/ ص ٢٨٤

من أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

١. شيعتنا من أطاع الله[١].

٢. اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك[٢].

٣. لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان[٣].

٤. الكسل يضر بالدين والدنيا[٤].

٥. المتكبر ينازع الله في رداءه[٥].

٦. من استفاد أخا في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلبا لمرضاة الله فقد استفاد شعاعا من نور الله[٦].

٧. اعرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك[٧].

٨. بني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية[٨].

٩. إن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله والحق، قد

(١) - أئمتنا/ سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام/ علي محمد علي دخيل/ص٣٦٢

(٢) - نور الأبصار/ الشبلنجي/ ص٢٠٩

(٣) - أئمتنا/ علي محمد علي دخيل/ ص٣٦٢

(٤) - بحار الأنوار/ العلامة المجلسي/ ج٧٥ص١٨٠

(٥) - تحف العقول/ ابن شعبة الحراني/ ص٢٩٣

(٦) . ميزان الحكمة/ محمد الريشهري/ ج١

(٧) . المصدر السابق.

(٨) . المصدر السابق.

ضلوا بأعمالهم التي يعملونها، كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف[١].

١٠. المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يستقل منه، والمؤمن لا يستقل من دينه شيء[٢].

(١) . ميزان الحكمة/ محمد الريشهري/ ج١

(٢) . المصدر السابق.

الفهرس

المقدمة.....٣

الإمام الباقر عليه السلام.....٥

امهُ.....٧

زوجات الإمام الباقر عليه السلام واولاده.....٨

الإمام الباقر عليه السلام والدولة.....٨

التوسع الإسلامي والانحرافات الفكرية.....١١

ملوك عصره.....١٧

دور الإمام الباقر عليه السلام في الاصلاح.....٢٠

محاور الحركة الاصلاحية العامة للإمام الباقر عليه السلام ٢١

اولاً- الاصلاح الفكري والعقائدي.....٢١

ثانياً - تأسيس المدرسة الفقهية النموذجية.....٢١

ثالثاً - الاصلاح السياسي.....٢٥

رابعاً - الاصلاح الاخلاقي والاجتماعي.....٢٨

خامساً - الاصلاح الاقتصادي.....٣٠

دوافع اغتيال الإمام الباقر عليه السلام ٣١

١ - سمو شخصية الإمام الباقر عليه السلام.....٣١

٢ - احداث دمشق.....٣١

رحيل الإمام الباقر عليه السلام.....٣٢

وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي.....٣٣

من اقوال الإمام الباقر عليه السلام.....٣٧

الإمام الباقر عليه السلام

ومواجهة الانحراف

٥٢
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

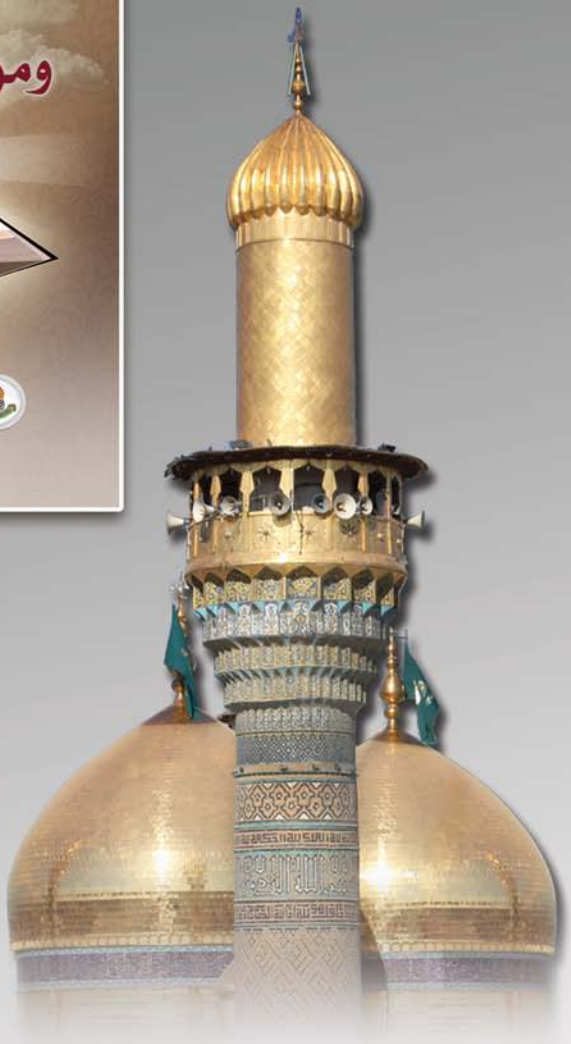

الشؤون الفكرية والثقافية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

راسلونا fikriya@aljawadain.org

زورونا www.aljawadain.org